

أضواء البيان

@ 249 @ أسكنهم بمكة المكرمة أن يرزقهم الله من الثمرات ، وبين في سورة البقرة أن إبراهيم خص بهذا الدعاء المؤمنين منهم ، وأن الله أخبره أنه رازقهم جميعاً مؤمنهم وكافرهم ثم يوم القيامة يعذب الكافر وذلك بقوله : { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا } . قال بعض العلماء : سبب تخصيص إبراهيم المؤمنين في هذا الدعاء بالرزق أنه دعا لذريته أولاً أن يجعلهم الله أئمة ولم يخص بالمؤمنين فأخبره الله أن الظالمين من ذريته لا يستحقون ذلك . قال تعالى : { وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَتْهُ هُنَّ } قَالَ إِنْ نَسَى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْدَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ } فلما أراد أن يدعو لهم بالرزق خص المؤمنين بسبب ذلك فقال : وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر فأخبره الله أن الرزق ليس كالإمامة فالله يرزق الكافر من الدنيا ولا يجعله إماماً . ولذا قال له في طلب الإمامة لا ينال عهدي الظالمين ولما خص المؤمنين بطلب الرزق قال له : { وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا } . قوله تعالى : { رَبِّ نُنَاغِثُكَ بِهَذَا نُنَاغِثُكَ بِهَذَا نُنَاغِثُكَ بِهَذَا } . بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن إبراهيم طلب المغفرة لوالديه وبين في آيات أخر أن طلبه الغفران لأبيه إنما كان قبل أن يعلم أنه عدو الله فلما علم ذلك تبرأ منه كقوله : { وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهِآ إِيَّاهُ فَلَمَّاسَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَيَّرَ } . ونحو ذلك من الآيات . ! 7 7 ! قوله تعالى : { إِنْ نَسَى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا } . بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه يؤخر عقاب الكفار إلى يوم تشخص فيه الأبصار من شدة الخوف وأوضح ذلك في قوله تعالى : { وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ } فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا } . ومعنى شخوص الأبصار أنها تبقى مفتحة لا تغمض من الهول وشدة الخوف . قوله تعالى : { مَّهْطِعِينَ } . الإهطاع في اللغة : الإسراع ، وقد بين تعالى في مواضع أخر أنهم يوم القيامة يأتون مهطعين أي مسرعين إذا دعوا للحساب كقوله تعالى : { يَخْرُجُونَ مِنَ الْآثَانِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مِّنْتَشِرٌ } مَّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ } . وقوله : { يَخْرُجُونَ مِنَ الْآثَانِ } سرّاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِصُونَ } وقوله : { يَخْرُجُونَ } .

عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ { إلى غير ذلك من الآيات .